الحركة العلمية والثقافية في مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني (١٣٠٠ - ١٣٤٤هـ/ ١٨٨٢ – ١٩١٦م)

إعداد

د. وضحه صحن رفاعي مناور الهضيبان

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر وزارة التربية والتعليم بالكويت

المستخلص:

رغم حالة عدم الاستقرار التي سادت أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية خلال فترة البحث، وهو ما جعل الحياة العلمية والثقافية فيها يخيم عليها الركود، إلاّ أن مكة المكرمة كانت استثناءاً من هذه الحالة نظراً لوجود الحرم المكي الشريف الذي يحفل دائماً بالعلماء والمتعلمين، فضلاً عن وجود عدد من المدارس الأهلية وبعض المدارس الرشدية التي افتتحتها الحكومة العثمانية بالإضافة إلى المطابع والصحف والمكتبات الخاصة ومجالس العلماء التي كان لها دور كبير في إنعاش الحركة العلمية والثقافية في مكة المكرمة في تلك الفترة.

الكلمات الإفتتاحية: الحرم المكي، المدارس الرشدية، المدارس الأهلية، المكتبات، الصحافة.

مقدمة:

رغم الركود الذي خَيّم على الحياة العلمية والثقافية في شبه جزيرة العرب في أواخر العهد العثماني، إلاّ أن مكة المكرمة كانت استثناءًا من ذلك حيث وجدت بها حركة تعليمية وثقافية نشطة، تمثلت في المسجد الحرام والكتاتيب والمدارس الأهلية فضلاً عن المطابع والصحف ومجالس العلماء، والتي كانت تمثل رافداً من روافد الحركة العلمية والثقافية بها في تلك الفترة.

أولا: التعليم في مكة المكرمة

١- الحرم المكي الشريف:

لقد كان من الطبيعي أن تصبح مكة المكرمة أكثر أجزاء شبه جزيرة العرب احتفاءً بالعلم واتصالاً بالثقافة وذلك بفضل وجود الحرم المكي الذي كان منذ القرن الأول الهجري من أهم مراكز الدراسات الإسلامية والعربية.. وظل الحرم المكي محتفظاً بمركزه العلمي المتميز حتى في آخر العهد العثماني الذي تميز بالركود والاضمحلال العلمي(١).

وكان الحرم المكي يستمد طلابه – غالباً – من التلاميذ المتخرجين من الكتاتيب والمدارس الدينية، وكان الراغبون في إكمال دراستهم يتجهون إلى الحرم المكي حيث كانت حلقات الدروس عامرة بطلبة العلم الذين يحضرون دروساً في الوعظ والإرشاد، أو يدرسون الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والصرف والبلاغة والأدب والمنطق والتصوف والحساب، ولم يكن هناك تنظيم دقيق للدراسة يلزم كل طالب بمنهج معين بل كان كل طالب متروكاً لرغبته وجهده في الدراسة، فهو يختار العلم الذي يريد دراسته، ويحضر الدرس الذي يرغبه، ولا توجد اختبارات للطلاب إلاّ أن المعلم كان إذا وجد في الطالب الكفاءة في التدريس يمنحه شهادة خاصة بصلاحيته للتدريس في العلوم التي درسها على يديه(٢).

وكانت حلقات الدروس في الحرم المكي تضم طلاباً من مختلف الأعمار وتعمل في جميع الأوقات نهاراً وليلاً حتى منتصفه، كما تعمل في الصباح الباكر وعقب كل صلاة، وذلك حسبما يحدده المعلم. وكان كل من المعلم والطالب يحرص على أن يمثل النظافة والطهارة والأناقة والفصاحة والكياسة والخلق الكريم والتعاون الصادق. وكانت حلقة التدريس تتألف في العادة من عشرين طالباً – لكنها في بعض الأحيان كانت تزيد على المئة أو المئتين – يتوسطها المدرس فوق سجادته، وأمامه القاري الذي يبدأ الدرس بقراءة آيات من القرآن الكريم وبعد ذلك يبدأ المدرس بشرح الدرس وتحليله من ذاكرته ثم يختمه بمناقشة طلابه والرد على أسئلتهم(٣).

ولقد أشار "سنوك هورجورنيه" إلى أن الحرم كان في تلك الفترة بمثابة جامعة تدرّس فيها العلوم الدينية والأدبية واللغوية والتاريخية، ولم يكن أهل مكة وحدهم الذين ينظرون إلى الحرم على أنه مركز علمي مهم بل كان يشاركهم تلك النظرة كثير من طلاب البلاد الإسلامية الأخرى الذين كانوا يفدون إلى مكة المكرمة للدراسة فيه(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه رغم انحطاط الحياة العلمية في ربوع شبه جزيرة العرب آخر العهد العثماني إلا أنها ظلت نشيطة في الحرم المكي الذي كان يذخر بالعلم والعلماء وطلابهم الذين كانوا يدرسون فيه علوم الدين واللغة والأدب والتاريخ فوق ما هو ذاخر بحفظة القرآن الكريم

الذين انتشروا في جنباته من باب العمرة إلى باب الصفا، تسمع لهم "دوياً كدوي النحل" لأنهم يعدون بالآلاف في الوقت الذي يطالعك فيه المسجد بعشرات الحلقات من الدروس وطلابها الذين يعدون كذلك بالآلاف يذخر بهم المسجد في جميع الأوقات، وهكذا كان أغلب من في مكة المكرمة والوافدين عليها يطلبون العلم(٥).

ومما يدل على نشاط الحركة العلمية في الحرم المكي آخر العهد العثماني أن عدد حلقات التدريس فيه بلغ حوالي مائة وعشرين حلقة(٦). ولم يكن يتولى التدريس في الحرم المكي إلاّ من يجتاز امتحاناً علنياً في التفسير والحديث والفقه والنحو أمام هيئة من علماء الحرم برئاسة شيخ العلماء أو نائبه(٧).

وقد بلغ عدد معلمي الحرم في تلك الفترة مائة وسبعة معلماً، وذلك طبقاً لما ورد في التقويم الرسمي لولاية الحجاز "حجاز ولايتي سالنامة سي" الذي صدر عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م)(٨) ويؤكد إبراهيم رفعت باشا الذي زار مكة عام ١٣١٨هـ (١٩٠١م) على نفس العدد عندما تحدث عن معلمي الحرم المكي، ولكنه ذكر إن معظمهم كانوا متبرعين وأن عدد من يتقاضون راتباً هو أربعة وأربعون معلماً تتراوح مرتباتهم بين مائة وخمسمائة قرشاً(٩)، ولكن "ستوك هورجورنيه" الذي زار مكة عام ١٣٠٢هـ (١٨٨٥م) يشك في عدد مدرسي الحرم الذي ورد ذكره في "سالنامة الحجاز" حيث ذكر أن عددهم كان يتراوح بين خمسين وستين معلماً، وذكر أن كثيراً ممن وردت أسماؤهم في البيانات الرسمية قد سموا معلمين لمجرد أن الوالي منحهم رواتب من الأموال التي خصصت للإنفاق على التعليم(١٠).

أما عن دخل علماء الحرم فقد كانوا يعتمدون على موارد مالية مختلفة، فمنهم من يعتمد على أعمال أخرى غير التدريس، وبعضهم من يتسم بالتقوى والصلاح أو يمتاز بسعة العلم يتلقى أعطيات سخية من الطلاب الأغنياء أو ممن يقدرون العلماء وأهل التقى والصلاح، كما كان أغنياء الحجاج وخاصة حجاج الهند يمنحون هؤلاء العلماء مبالغ نقدية كبيرة، كما كان جميع أساتذة الحرم يحصلون على جزء من دخل الأوقاف الخيرية، وكان لكل العلماء المعلمين مرتبات سنوية من النقود والقمح يحصلون عليها من خزينة الولاية(١١).

ويبدو أن الأحوال المالية لعلماء الحرم المكي قد ساءت في السنوات الأخيرة من العهد العثماني حيث ضج العلماء بالشكوى من ضيق موارد رزقهم، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها أحد معلمي الحرم إلى جريدة "شمس الحقيقة التي كانت تصدر في مكة المكرمة في تلك الفترة، أوضح فيها إنهم كانوا يعتمدون في سدّ رمقهم على ما يجود به المحسنين من صدقات، فضلا عن إجارة أنفسهم في أداء فريضة الحج عمن لم يبلغه، ويذكر أنهم أصبحوا يعيشون في ضيق بعد أن غلت الأدوات وقلت الصدقات، وطالب صاحب الصحيفة أن يستلفت أنظار الحكومة العثمانية بالتوجه للعلم والعلماء وطلبتهم، فيعينوهم بمرتب شهري يغنيهم عن الصدقات ويحفزهم على التوجه التام للعلم(١٢).

ومما يدل على سوء الحالة المالية لعلماء الحرم المكي في السنوات الأخيرة من العهد العثماني أن الدولة العثمانية كانت تصرف رواتب سنوية لعلماء الحرم الذين يقومون بالتدريس من النقود والقمح يتلقونها من خزينة الولاية – كما سبق ذكره – ولكن في الفترة الأخيرة كان من الصعب

على الحكومة أن تصرف لهم هذه المرتبات، ولذلك فإن العلماء كانوا يضطرون إلى بيع حوالاتهم للوسطاء بأقل من نصف قيمتها، إذ كثيراً ما ذهبوا للخزانة لصرف رواتبهم فيجدونها خاوية[١٣]. وأكد ذلك محمد لبيب البتنوني الذي زار مكة المكرمة عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وأشار إلى ضعف الموارد المالية لعلماء الحرم في تلك الفترة[١٤].

ويبدو أن ما كان يلاقيه علماء مكة المكرمة حينئذ من ضيق العيش قد أصاب الحركة العلمية في الحرم المكي بشيء من الضعف والاضطراب، ولذا فإن الحاجة ما لبثت أن دعت الحكومة إلى تخصيص مرتب شهري لعدد من المعلمين ووضع نظام رسمي للتدريس في الحرم، وصدر هذا النظام بالفعل في محرم ١٢٣٢هـ (ديسمبر ١٩١٣م) وتناول ثلاثة موضوعات رئيسية هي: المشرفون على التعليم في المسجد الحرام، وواجبات المدرس وقواعد تعيينه، والتدريس والامتحانات[١٥].

أ- المشرفون على التعليم في المسجد الحرام:

١- تشرف على التعليم في الحرم المكي هيئة مكونة من مفتي الشافعية ومفتي المالكية ومفتي الحنابلة وثلاثة من المدرسين يرأسها رئيس المدرسين ومفتي الأحناف.

٢- يعين كاتب يتولى صرف مرتبات المدرسين والمفتشين، ويقوم بشؤون المعاملات المتصلة بالتدريس في الحرم.

٣- يعين مفتشان قديران بمعاش شهري ليشرفا على سير الدراسة في الحرم ويراقبا ما يدور في حلقاته.

٤- يعين خمسة عشر مدرساً من "العلماء الملازمين المقتدرين على أداء الوظيفة بانتخاب المفاتي الأربعة ووجوه العلماء" ويرتب لهم معاش شهري[١٦].

ب- واجبات المدرس وقواعد تعيينه:

١- على المدرس ذي المعاش أن يدرّس ثلاثة دروس في اليوم والليلة، أما المدرسون الملازمون فإنهم يدرّسون قدر استطاعتهم.

٢- إذا ابتدأ المدرس كتاباً فعليه أن يتمّه وأن يراعي مناسبته لمستوى الطلاب.

٣- إذا شغرت وظيفة مدرس، عُيّن بدله مدرس آخر من "التلاميذ المقيدة أسماؤهم في دفترهم من أرباب الاقتدار" وذلك بعد أن يمتحنه أعضاء الهيئة المشرفة على التعليم بالمسجد الحرام والمدرسون أرباب المعاش في اثنا عشر فناً من الفنون الخمسة عشر التي تدرس في المسجد الحرام، وإذا تعدد راغبوا الوظيفة أجريت بينهم مسابقة.

٤- لا يجوز لأحد الطلبة أن يُستدعى في وظيفة التدريس إلاّ بعد أن يشتغل في طلب العلم على مشايخ معينين وبعد ذلك يمتحن، فإذا تميز في علوم الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع أعطيت له شهادة بصلاحيته للتدريس في المسجد الحرام أو يقيد من الملازمين[١٧].

ج- التدريس والامتحانات:

١- تدرس كل الدروس باللغة العربية، ويجوز للمعلم أن يترجم معاني الكتاب الذي يقرؤه إذا كان طلابه من غير العرب.

٢- يدرس بالحرم المكي علوم: التوحيد والتفسير والحديث والفقه، وأصول الفقه وأصول الحديث، والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والتاريخ والسير والعلوم الرياضية.

٣- تعين الهيئة المشرفة على التعليم في المسجد الحرام خمسة من المدرسين لامتحان الطلاب امتحاناً عاماً، وتطلب الهيئة من المدرسين كتابة درجة كل طالب في الجدول الذي يقدم لهم من كل مدرس، ويكون وضع تلك الدرجات بعد الامتحان بحسب ما تميز فيه الطلبة من العلوم، ثم يقدم للرئيس والهيئة ليجروا تقديرهم(١٨).

د- الإجازات العلمية:

لم يكن الطلاب المجدون في المسجد الحرام يمنحون شهادات دراسيّة، لكنهم كانوا يحصلون على إجازات علمية من أساتذتهم، وكان علماء الحرم يتبعون في منح هذه الإجازات التقاليد العلمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي منذ القرون الأولى للهجرة النبوية(١٩).
ومع أن الغرض من صدور هذا النظام كان رفع مستوى معيشة العلماء في الحرم المكي إلاّ أنه لم يشمل سوى عدد صغير منهم حيث أن من خصص له راتب شهري من هؤلاء العلماء بلغ خمسة عشر فقط، أما بقية معلمي الحرم فقد ظلوا – على الأرجح – معتمدين على صدقات المحسنين وتبرعاتهم، ويؤكد ذلك ما ورد بهذا النظام من "إن الصدقات الواردة تقسّم بين جميع المدرسين والملازمين"(٢٠).

ويبدو إن ما كان يعاني منه علماء الحرم من ضيق ذات اليّد في أواخر العهد العثماني قد استمر كذلك خلال الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢- ١٣٣٦هـ (١٩١٤-١٩١٨م) لأن المعلم أصبح لا ينتظر راتباً من الحكومة العثمانية، ولا ينتظر صدقة من الطلاب لأن تعليمه لهم كان لوجه الله، ولذا مات معظم علماء الحرم فقراء(٢١).

ورغم ضعف حالة العلماء المادية إلا أنهم لم يتقاعسوا عن أداء واجبهم نحو طلابهم حيث إن عملهم كان لله وفي سبيل الله، ولذا ظل الحرم المكي إبان فترة الحرب العالمية الأولى منهلاً لطلاب العلم يقصدونه من جميع البلاد حيث كانت تعقد فيه حلقات في جميع العلوم، وكان الإقبال عليها عظيماً، وفي أواخر هذا العهد كانت أروقة المسجد مكتظة بحلقات التدريس والطلاب منكبين على الدرس والمطالعة نهاراً وليلاً مستعينين على ذلك بمصابيح الشمع (اللالات) حيث لا توجد كهرباء ولا أضواء غير قناديل الزيت المسرجة حول المطاف والأروقة(٢٢).

ومهما يكن من أمر فقد قام الحرم المكي بدور كبير في حفظ علوم الدين واللغة، وإيجاد جوٍّ علميٍّ عاش في ظله من تفرغ للدرس والتحصيل(٢٣).

٢- التعليم الحكومي:

إلى جانب المسجد الحرام وجد في مكة المكرمة في هذه الفترة نوعان آخران من التعليم تمثلا في

التعليم الحكومي والتعليم الأهلي. أما التعليم الحكومي فكان يسير وفق أنظمة التعليم المتبعة في الولايات العثمانية الأخرى، وكان التعليم العثماني يشتمل في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي على كتاتيب ومدارس دينية، ثم أدخلت بعد ذلك عدة إصلاحات تعليمية بحيث جعلت التعليم المدني يتكون في نهاية ذلك القرن من مرحلة ابتدائية مدتها ثلاث سنوات ثم مرحلة رشدية مدتها ثلاث سنوات تليها مرحلة إعدادية. وكانت مدارس المرحلة الأخيرة على نوعين: نوع مدته خمس سنوات وآخر مدته سبع سنوات خصصت سنواته الثلاث الأولى للمرحلة الرشدية. كما كانت هناك مدرسة زراعية، فضلاً عن مناقشة مشروع تأسيس مدرسة صناعية[٢٤].

وقد وجدت في مكة المكرمة بعض أنواع من ذلك التعليم الحكومي الذي كانت التركية لغته الرسمية، وقد ورد ذكر أنماط ذلك النوع من التعليم في التقويم الرسمي لولاية الحجاز "حجاز ولايتي سالنامة سي" الذي صدرت أول أعداده في عام ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) وتوالى صدوره حتى بلغ مجموع الأعداد التي صدرت منه خمسة كان آخرها عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م)، وظهر من تلك الإحصائية أن عدد الكتاتيب في مكة المكرمة عام ١٣٠١هـ كان ٣٣ كتَّاباً، زاد عددها إلى ٤٣ كتاباً في عام ١٣٠٩هـ. أما المدارس الدينية الأولية فكان عددها في السنة التي صدر فيها التقويم أربع ثم زاد إلى ست في آخر سنة صدر فيها ذلك التقويم بمكة المكرمة، وبالنسبة للمدارس الرشدية فقد ظل عددها ثابتاً طوال الفترة التي شملها الإحصاء حيث لم يزد عددها على ثلاث[٢٥]. وفضلا عن هذه المدارس فقد وجد في مكة المكرمة في تلك الفترة أيضاً ست مدارس للعلوم[٢٦].

المدارس الرشدية:

من الواضح أن إنشاء الحكومة العثمانية لهذا النوع من المدارس إنما كان يمثل أول محاولة من جانبها لإدخال التعليم الحديث إلى مكة المكرمة، وكان ذلك فيما بين عامي ١٣٠١ – ١٣٠٣هـ (١٨٨٤-١٨٨٦م) عندما أنشئت المدرسة الرشدية[٢٧] التي أخذت تلاميذها من المدرسة السليمانية الدينية بمكة المكرمة، أما أساتذتها فكانوا من استانبول[٢٨].

ويتضح من استقراء المواد التي كانت تدرس في صفوفها الدراسية الخمسة أنها كانت تقوم على تدريس علوم الدين والأدب واللغة والتاريخ والجغرافيا والعلوم الصحية والرياضة البدنيّة إلاّ أنها كانت تركز في الأغلب على تدريس اللغة التركية وقواعدها التي كانت الأساس في التدريس بهذه المدرسة، مما جعل التعليم بها قاصراً على أبناء الموظفين الأتراك وأبناء من كان لهم صلة بالحكومة التركية، أما سائر أهل مكة فقد عزفوا عن إلحاق أبنائهم بها خوفاً من أن يكون غرض الحكومة من إنشائها هو تتريك العرب[٢٩]. كما كانوا يخشون أن يكون تعليم أبنائهم بتلك المدارس وسيلة لإلحاقهم بسلك الجندية[٣٠].

ولما تيقنت الحكومة العثمانية من عدم جدوى المدارس العثمانية في تعليم اللغة التركية بمكة المكرمة بسبب عزوف الأهالي عن إلحاق أبنائهم بها، لجأت إلى وسيلة أخرى لنشر لغتها عن طريق التعليم، تمثلت في قيام فرع جمعية الاتحاد والترقي بمكة بتنظيم دروس مسائية لتعليم اللغة التركية ونشرها بها[٣١]. ولكن هذه المحاولة لم تأت بالفائدة المرجوّة لأن أهل مكة لم يقبلوا على حضور تلك الدروس مما دفع أمين سرّ ولاية الحجاز أن يرفع صوته بالشكوى – في كلمة نشرتها جريدة "حجاز" عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) – من عدم اهتمام المكيين بتعلم هذه اللغة، رغم

أنها اللغة الرسمية في الولايات العثمانية في تلك الفترة[٣٢].

مدارس أخرى:

ورغم أنه وجد – بعد إعلان الدستور العثماني الجديد عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) شيء من النشاط العلمي في ولاية الحجاز بصفة عامة ومكة المكرمة بصفة خاصة، إلا أنه يبدو أن ميزانية دائرة المعارف بهذه الولاية كانت ضعيفة حينئذ، حيث كثيراً ما كانت تنشر الجريدة الرسمية "حجاز" مقالات تدعو المواطنين إلى إنشاء المدارس وتشجيع حركة التعليم، كما أن مدرسة الصناعة لم تفتح أبوابها في مكة المكرمة عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) إلاّ بعد أن جُمعت لها التبرعات[٣٣]. وأمّنت بعض نفقاتها من مصادر أخرى غير دائرة المعارف، فخصص لها مبلغ ٥% من واردات البلدية في مكة، بالإضافة إلى ما زاد من واردات مطبعة الولاية. وقد صرفت – حينئذ – بعض المبالغ النقدية من أجل شراء مباني المدرسة وإنشاءاتها حيث اشترى وكيل الولاية داراً بالمعلّى بمبلغ ألف وخمسمائة ليرة لتكون قصراً لتلك المدرسة[٣٤]. كما افتتح فرع جمعية الاتحاد والترقي بمكة في نفس العام مدرسة "برهان الاتحاد" التي التحق بها عند افتتاحها خمسون طالباً[٣٥].

٣- التعليم الأهلي:

أ- الكتاتيب:

كانت أول مدارس أنشئت للبنين في شبه جزيرة العرب في المدارس الأهلية التي بدأت على شكل كتاتيب كانت منتشرة في مختلف أحياء مكة[٣٦]. وكان من أهمها كُتّاب الشيخ عبد المعطي النوري في الشبيكة، وكُتّاب الشيخ إبراهيم فودة في أجياد وكُتّاب الشيخ أحمد حمام في حارة الباب، وكتاب الشيخ عبدالله السناري "حمدوه" في باب الزيادة بزاوية السمان وهو أشهر كتاتيب مكة، وكان من عرفائه الشيخ مصطفى يغمور، كما كان من جملة أساتذته الشيخ أحمد السوركتي الداعية الإسلامي الكبير في جاوة[٣٧].

أما عن المنهج الذي كان يُدرّس في الكُتّاب فكان يعتمد في أغلبه على تحفيظ القرآن الكريم والإملاء والخط والحساب، وكانت هناك مواسم وأعياد للكتاتيب، فإذا ما ختم الطالب القرآن الكريم أو وصل إلى حدٍّ معين فيه، أقام له أهله حفلاً عظيماً وطافوا به في موكب شعبي في شوارع المدينة، في الوقت الذي تكون الألواح مرفوعة فوق الرووس احتراماً وتعظيماً لما تتضمنه من آيات القرآن الكريم، وكانت الحلوى توزع خلال الموكب وترتفع أصوات المنشدين بالابتهالات والدعوات الصالحات، ويعقب ذلك دعوة الطلاب لتناول الغداء في دار الطالب الناجح. وكان لكل ذلك أثره في المنافسة على التفوق والتميز. ويسمى هذا الاحتفال "بالإصرافة" لأنه كان يتم في نهاية العام الدراسي حيث يصرف الطلاب بعدها إلى العطلة[٣٨].

وكانت هذه الكتاتيب تعتمد على ما يدفعه أولياء أمور التلاميذ من مكافآت وهدايا، حيث كان من عادة والد التلميذ عندما يلحق ابنه بالكتّاب أن يعطي المعلم هدية سخية قد تصل إلى دولارين، وبعد ذلك يتلقى المعلم من الأب كل يوم خميس ما يساوي نصف بنس أو ثلاثة أرباع البنس وهو ما كان يعرف بالخميسية، كما يعطيه في الأعياد والمناسبات العامة هدايا تناسب مقدرته المادية، وعندما يتم التلميذ حفظ ثلثي القرآن الكريم أو نصفه ينال المعلم مكافأة تتراوح بين دولار وثلاثة دولارات. أما إذا ختم التلميذ القرآن فإن مكافأة المعلم تكون أكثر سخاءً إذ يمنحه الموسرون حوالي ثلاثون دولاراً، أو كسوة أو جبّة[٣٩].

وكان بعض أصحاب الكتاتيب يضعون نظاماً لكتاتيبهم لا يحيدون عنه يحددون فيه ما يجب على ولي أمر التلميذ أن يدفعه أثناء دراسة ابنه في الكتّاب، وحُددت فيما يلي :

١- أن يدفع ولي الأمر للشيخ مجيديين عند دخول الابن الكتاب لأول مرة باسم الفتوح.

٢- أن يدفع ولي الأمر للشيخ كل خميس ربع مجيدي أو خمسة قروش باسم الخميسية، منها قرش للحصير الذي يجلس عليه التلميذ، وقرش للماء وثلاثة قروش للشيخ.

٣- إذا وصل التلميذ إلى سورة الفتح أو سورة الضحى أو سورة عم أو سورة تبارك فإنه يجب على ولي الأمر أن يدفع ثلاثة مجيديات للشيخ منها نصف مجيديّ للعرّيف الذي يقوم بنقش لوح "الإصرافة" بالألوان. ونصف مجيدي قيمة الألوان، والباقي للشيخ مع تقديم شيء من الحلاوة "البناسة" لتوزع على التلاميذ .

٤- إذا ختم التلميذ القرآن الكريم وجب على الولي أن يدفع للشيخ خمسة عشر مجيدياً، منها مجيديتان للعريف الذي ينقش لوح "الإقلابة" بالألوان الذهبية والباقي للشيخ، كما يجب على ولي الأمر إحضار كمية من الحلاوة البناسة المذهبة والمفضضة لتوزع على التلاميذ.

٥- إذا عمل ولي الأمر لابنه وليمة فإن الذي يرمي على اللوح يكون من نصيب الشيخ وحده.

٦- يجب على الولي أن يقدم في الأعياد المشبك مع "البخشيش" أما في آخر رمضان فيكون عليه أن يبعث بزكاة ابنه مع العيدية من يوم ٢٧ رمضان وأن يسلمها للشيخ وهي "الفطرة"[٤٠].

ب- المدارس الأهلية:

كان للجهود التي ساهم فيها بعض أبناء الحجاز وبعض أبناء الجاليات الإسلامية المقيمين به دور بارز في إحياء الحركة العلمية بمكة المكرمة في تلك الفترة، حيث أدت تلك الجهود إلى تأسيس عدد من المدارس الأهلية – كالمدرسة الصولتية ومدرسة الفلاح والمدرسة الخيرية – التي كانت تعدّ رافداً من روافد التعليم في مكة المكرمة في تلك الفترة[٤١].

ومن الجدير بالذكر أن إنشاء المدارس الأهلية في مكة المكرمة كان ردّة فعل لسياسة التتريك التي انتهجتها الدولة العثمانية والتي جعلت اللغة التركية لغة التعليم، مما جعل بعض أبناء الحجاز وبعض أبناء الجاليات الإسلامية يفكرون في افتتاح مدارس أهلية يكون التدريس فيها باللغة العربية[٤٢].

المدرسة الصولتية:

تأسست هذه المدرسة في مكة المكرمة عام ١٢٩٢هـ- (١٨٧٥م) على يد الشيخ محمد بن رحمة الله الذي ولد في الهند ثم انتقل إلى مكة المكرمة للإقامة فيها، وقد اعتمدت هذه المدرسة على المساعدات الخيرية التي يقدمها مسلموا الهند، وكان تأسيسها بتبرع من سيدة هندية جاءت إلى مكة للحج عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) وتدعي صولة النساء التي قدمت الأموال اللازمة لبنائها فسميت بالمدرسة الصولتية نسبة إليها.

وقد انتظمت الدراسة في هذه المدرسة قبل أن يكتمل بناؤها، وكان الهدف الرئيسي للمدرسة عند

تأسيسها نشر العلوم الدينية وخاصة بين أبناء الجاليات من الهنود الذين استقر بهم المقام في مكة المكرمة، ثم تطور نظام التعليم فيها بعد ذلك فدرّست العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة الإسلامية وعلم المناظرة والفلك(٤٣).

ولم تكن الخطة الدراسية بالمدرسة الصولتية ثابتة بل تعرضت لتغيرات عدة، وكانت المواد التي تدرس فيها: المواد الدينية واللغة العربية والعلوم الاجتماعية والرياضيات، ثم طبقت مناهج المدارس الحكومية، وكانت مناهجها متأثرة إلى حدّ كبير بمناهج المدارس الهندية، ومن ثم كان يغلب عليها الطابع الهندي وذلك لوجود علماء من الهند ضمن أساتذتها قبل تطبيق المنهج الحكومي(٤٤).

وكان نظام المدرسة الصولتية يتسم بشيء من المرونة بالنسبة للفترة الزمنية التي ينبغي للطالب أن يتم فيها دراسته حيث راعت الفروق الفردية، إذ أن مدة الدراسة فيها كانت عشر سنوات لكن الطالب المتفوق كان يستطيع أن ينهيها في فترة أقل من ذلك، وتهتم المدرسة بالاختبارات الشهرية، وتؤهل شهاداتها النهائية حامليها للتدريس في المسجد الحرام، والدراسة فيها بالمجان، وتعتمد في الأساس على تبرعات المحسنين، لكن عدم ثبات هذه التبرعات جعل المدرسة تتعرض لصعوبات مالية جمة(٤٥).

وكان عدد طلبة المدرسة في عهد مؤسسها يتراوح بين ١٥٠ – ٢٠٠ طالباً، أما عدد معلميها حينئذ فبلغ عشرة معلمين(٤٦). وكان الطلبة يدرسون منذ الصباح حتى صلاة العصر وبذلك كان اليوم الدراسي لا يقل عن سبع ساعات يومياً(٤٧).

أما عن المراحل الدراسية في المدرسة الصوتية فقد كانت تتألف من عدة مراحل كالتالي:

١. القسم التحضيري ومدته أربع سنوات.

٢. القسم الابتدائي ومدته أربع سنوات.

٣. القسم الثانوي ومدته أربع سنوات.

٤. القسم التكميلي (القسم العالي) ومدته سنتان(٤٨).

ومن الجدير بالذكر أن إدارة المدرسة بدءاً من عام ١٢٣١هـ (١٩١٣م) كانت حريصة على إدخال المواد الحديثة في منهجها إضافة إلى المواد التي كانت تدرس بها، فضلاً عن تشجيع التلاميذ على الخطابة وإلقاء المحاضرات باللغة العربية، وكان ذلك يتم تدريجياً(٤٩).

مدرسة الفلاح:

أنشئت مدرسة الفلاح في جده(٥٠) عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) وكانت أول مدرسة فيها، وفي عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) افتتحت مدرسة الفلاح في مكة المكرمة(٥١) وكان الهدف من تأسيس هاتين المدرستين هو "رفع مستوى طلاب العلوم الدينية والدنيوية وتعليمهم العلوم العالية التي تجعلهم معالم يهتدي بهم الناس"(٥٢).

وقد استمد محمد على زينل تلاميذ مدرسته الجديدة في مكة المكرمة من كُتّاب الشيخ عبدالله حمود الذي كان يعتبر من أحسن كتاتيبها، فجعله نواة لمدرسته وعين الشيخ محمد حامد مديراً لها،

وتولى التدريس فيها حينئذٍ مجموعة من المعلمين المتميزين المشهود لهم بالكفاءة في تلك الفترة، وقد بلغ عدد تلاميذها عند إنشائها أكثر من مائتي تلميذ، وسرعان ما زاد الإقبال عليها بعد فترة وجيزة من افتتاحها حتى أصبحت تعج بالتلاميذ(٥٣).

وكانت الدراسة بتلك المدرسة تتكون منذ إنشائها في جدة عام ١٣٢٣هـ ثم في مكة عام ١٣٣٠هـ وحتى عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) من ثلاث مراحل هي:

- المرحلة التحضيرية: ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

- المرحلة الابتدائية، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

- المرحلة الرشدية: ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

وكانت المواد التي تدرّس فيها كالتالي:

- المرحلة التحضيرية: الهجاء والقرآن الكريم، وحفظ جزء عَمّ، والإملاء والخط والحساب.

- المرحلة الابتدائية: القرآن الكريم، والتوحيد، والفقه، والحديث، والتجويد، والسيرة النبوية، والنحو والصرف، والإملاء، والخط، والحساب.

- المرحلة الرشدية: التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه، والسيرة النبوية، والنحو، والصرف، والبلاغة، والإنشاء، والمحفوظات، والتاريخ، والجغرافيا، والحساب، ومسك الدفاتر(٥٤).

ورغم تحديد المواد التي تدرّس بكل مرحلة من مراحل مدرسة الفلاح إلاّ أن هذه المواد لم تكن ثابتة بل كان يدخل عليها التعديل بين آن وآخر، وخاصة بعد إنشاء المدارس الحكومية، وكان هذا التعديل يتم من أجل توحيد المناهج في بعض المواد(٥٥).

ومن الجدير بالذكر أن مدارس الفلاح كانت في البداية تحصل على ميزانيتها من مؤسسها – محمد علي زنيل – الذي كان يعمل بالتجارة وينفق على مدارسه من دخله منها، ولكن تجارته تضاءلت مما اضطره إلى الاستعانة بتبرعات المحسنين لتمويل عملية سير الدراسة في مدارسه، خاصة وأنه كان قد افتتح عدة مدارس أخرى في كل من دبي والبحرين وبومباي(٥٦).

المدرسة الخيرية:

نشطت في ولاية الحجاز – آخر العهد العثماني – حركة إنشاء المدارس الدينية العربية، في عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) أسس الشيخ محمد حسين خياط المدرسة الخيرية بمكة المكرمة، وكان الهدف من إنشائها "نشر العلوم الدينية على حقيقتها، وإظهار مزايا هذا الدين الحنيف في مرايا الناشئة، بتربيتهم على آدابه وحكمه الروحانية الفاضلة حتى يكونوا مثالاً صحيحاً بظهورهم في مظهره العالي ومقامه الغالي، فيتحكك بهم إخواننا المسلمون الواردون إلى مكة المكرمة فيتأثرون به ثم يؤثرون في أهل بلادهم حتى يصطبغوا بتلك الصبغة. وبذلك يكون الوصول إلى إصلاح إخواننا المسلمين أجمعين وارتباطهم برابطة الدين التي يكونون بها كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد، وهذه أعظم وسيلة لذلك تغني عن إرسال جماهير عظيمة إلى تلك البلاد الكبيرة، ومنها أن تصبح أم القرى في نظر العالم الإسلامي الآن كمنظرها الأول(٥٧).

وكانت المدرسة الخيرية تدرس العقائد والفقه والأخلاق والتربية والنحو والصرف وحسن الخط

والرسم والإنشاء والتاريخ والجغرافيا والأدب واللغة التركية والنحو التركي والإملاء التركي ومسك الدفاتر والهندسة والجبر والحساب والميقات والتجويد والمنطق والمساحة والمعاني والبيان وحفظ الصحة(٥٨).

وكانت تلك المدرسة تدرّس نفس المواد التي تدرّس بالمدرسة الصولتية ولكن بشيء من التوسع، وقد بلغ عدد تلاميذها عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) (٥٩) حوالي ثلاثمائة تلميذ يدرسون بالمجان(٦٠).

و أما عن مستوى التعليم فيها فقد تطورت المدرسة في فترة وجيزة، إذ وجد فيها عام ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) مرحلة نهائية، وكان عدد طلاب الصف النهائي في تلك السنة سبعة، ويبدو أن مستوى التعليم في هذه المرحلة في العلوم الدينية والعربية كان عالياً، حيث أن هؤلاء الطلاب تقدموا في نفس العام لامتحان عقدته لهم الجنة من كبار علماء المدرسة لكي يرخص لهم بالتدريس في المسجد الحرام، ولكن ما أن بدأ الامتحان إلا وحدث جدل كبير بين مدير المدرسة وبعض أعضاء لجنة الامتحان مما أدّى إلى تأجيل الامتحان إلى العام التالي ١٣٣٤هـ (١٩١٦ م) واستعد الطلاب لدخول الامتحان إلاّ أنه لم يعقد بسبب نشوب الحرب بين الشريف حسين والحكومة العثمانية في ذلك العام(٦١).

المدرسة الفخرية:

من الواضح أن الإقبال والتقدير الذي حظيت به المدرسة الصولتية عند نشأتها قد شجع أحد أساتذتها السابقين وهو الشيخ عبدالحق قاري على أن يؤسس مدرسة جديدة على غرار المدرسة الصولتية وسماها المدرسة الفخرية، وكانت تشبه مثيلتها في كل شيء حتى في اعتمادها على التبرعات الخيرية التي يجود بها مسلمو الهند. وبمرور الوقت أقبل الطلاب على الدراسة بالمدرسة حتى أصبحت تغص بهم، وكانت "ذات نظام وتنظيم ونهج عصري قويم" وكانت المواد التي تدرس بها تقوم على القرآن الكريم والتجويد والقراءات والحساب والإملاء والإنشاء(٦٢).

ثانيا: المكتبات في مكة المكرمة

تعتبر المكتبات رافداً هاماً من روافد الحركة العلمية والثقافية في مكة المكرمة آخر العهد العثماني، وكان بها في تلك الفترة مكتبتان وذلك حسبما ورد في الإحصاء الرسمي الذي أصدرته ولاية الحجاز عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) (٦٣) وهما مكتبة شرواني زاده محمد رشدي باشا ومكتبة الحرم التي أسسها السلطان العثماني عبدالمجيد، وعلى الرغم من وصف محمد لبيب البتنوني – الذي زار مكة عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) – لهما بأنهما مكتبتان بسيطتان تحويان كتباً في النحو والفقه والأدب والتاريخ، وبعض الكتب التي كتبت باللغات الفارسية والأوردية والتركية والجاوية(٦٤). فإن صفي الرحمن المباركفوري وصف مكتبة الحرم بأنها مكتبة عريقة، تضم أمهات الكتب الإسلامية الخالدة والمخطوطات النادرة(٦٥).

والمرجح أن هذه المكتبة التي تقع قرب الحرم الشريف لم تصبح زاخرة بهذا الكم من المراجع والمخطوطات، إلا في العهد السعودي حيث زودت بأمهات الكتب والمخطوطات النادرة، لأن جريدة "حجاز" كانت تدعو باستمرار إلى دعم تلك المكتبة وتطويرها(٦٦)، مما يدل على تواضع مستواها في آخر العهد العثماني .

وفضلا عن هاتين المكتبتين فقد وجد بمكة المكرمة كذلك مكتبات المدارس الأهلية التي كان أهمها مكتبة المدرسة الصوتية التي كانت تحوي بين جنباتها ما يربو على خمسة آلاف مجلد(٦٧).

ثالثا: الطباعة في مكة المكرمة:

لعبت المطابع دورا كبيرة في الحركة الثقافية بمكة المكرمة آخر العهد العثماني، حيث أسست الحكومة العثمانية بها "مطبعة الولاية عام ١٣٠٠ه (١٨٨٣م)، وقد قامت هذه المطبعة بطبع عدد من مؤلفات علماء الحرمين الشريفين الذين كانوا ينشرون مؤلفاتهم في مصر قبل ذلك، وقد بلغ مجموع الكتب التي تم طبعها في هذه المطبعة بعد مرور أقل من ثلاث سنوات على إنشائها خمسة وأربعين كتابا(٦٨) .

وفي عام ١٣٢٧ه (١٩٠٩م) أنشئت في مكة المكرمة المطبعة الماجدية ومطبعة شمس الحقيقة اللتان أسهمتا مع مطبعة الولاية في إنعاش الحركة الفكرية بمكة المكرمة في تلك الفترة، وذلك من خلال طبع المزيد من المؤلفات المتنوعة، ونشر الكتب التي قام العلماء بتأليفها(٦٩).

وإلى جانب المطابع الحكومية أنشئت المطابع الأهلية في مكة المكرمة في تلك الفترة، فساهمت في إنعاش الحياة الثقافية فيها، إذ قامت بطبع العديد من المؤلفات وأصبحت الدعامة التي اعتمدت عليها الصحافة بعد ذلك(٧٠).

رابعا: الصحافة في مكة المكرمة

لعبت الصحف التي صدرت في مكة المكرمة في تلك الفترة دورا هاما في الحركة الثقافية حينئذ، فعندما أصدرت الحكومة العثمانية جريدة "حجاز" بمكة المكرمة عام ١٣٢٩ه (١٩٠٨م) لتكون جريدة رسمية لولاية الحجاز، شجع ذلك على ظهور المقالة الصحفية لأول مرة في تاريخ النثر الأدبي في هذه البلاد، وأخذت هذه الجريدة وما تلاها من جرائد تنشر العديد من المقالات التي تعالج الشؤون الاجتماعية والسياسية والأدبية بطريقة تختلف عما ألفه كتاب الرسائل والمفاخرات والتاريخ. (٧١)

وقد أدى صدور صحيفة "حجاز" إلى ظهور نوع جديد من النثر الأدبي يختلف شكلا ومضمونا عن الأنواع الأدبية التقليدية ولم يكن مستغربا أن يقتصر النثر الحديث الذي ظهر بظهور الصحافة على منطقة الحجاز وخاصة مكة المكرمة- التي ظلت بفضل وجود المسجد الحرام من أكثر مناطق جزيرة العرب صلة بالتعليم والثقافة حينئذ(٧٢).

ومن الجدير بالذكر أن صحيفة "حجاز" لم تكن هي الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر في مكة المكرمة آخر العهد العثماني، حيث صدرت بها صحيفة أخرى في نفس الوقت تقريباً وهي صحيفة "شمس الحقيقة التي ساهمت أيضا- في إثراء الحركة الثقافية في مكة المكرمة في تلك الفترة(٧٣).

والواقع أن القراء والأدباء في مكة المكرمة لم يقتصر إطلاعهم على ما كان يصدر من صحف فيها فقط وإنما كانوا يطالعون أيضا الصحف التي كانت تصدر خارج البلاد وترد إليهم، فقبل عام ١٣٢٠ه (١٩٠٧م) كانت تصلهم بعض الصحف من استانبول مثل "الجوائب"، ومن لبنان مثل جريدة "بيروت" وجريدة ثمرات الفنون"، وبعد عام ١٣٢٩ه (١٩٠٨م) وصلت إليهم الصحف

المصرية مثل: المؤيد والأهرام والمقطم[٧٤] وقد أسهمت هذه الصحف التي طالعها أهل مكة- بقسط وافر في إنعاش الحياة الثقافية بها في تلك الفترة[٧٥].

خامسا: مجالس العلماء

إلى جانب هذه الوسائل الثقافية المتنوعة كان لبعض علماء مكة المكرمة في تلك الفترة مجالس يلتقي فيها رجال التعليم وطلابهم ويناقشون فيها الأمور التعليمية، إذ كان علماؤهم ينتهزون فرصة تعطل الدراسة في الحرم المكي في ليالي الثلاثاء والجمع وأيامها ويعقدون مجالس السمر والأندية العلمية والأدبية في دورهم، وكان من أبرز تلك الأندية وأحفلها بالسمر العلمي والأدبي دار السيد عبدالله دحلان ودار الشيخ صالح شطا، حيث كان العلماء يجتمعون فيهما يناقشون البحوث العلمية والنقل الأدبية[٧٦].

ولم يقتصر عقد تلك المجالس العلمية والأدبية على دور العلماء والأدباء فقط بل كثيراً ما كان هولاء ينتقلون بنشاطهم إلى ضواحي مكة لإحياء المجالس فيها بالعلم والأدب، مما أسهم بشكل كبير في إحياء الحركة العلمية والثقافية في مكة في تلك الفترة[٧٧].

ولا شك أن هذه المجالس ساهمت مع المكتبات والمطابع والصحف بدور فعال في إنعاش الحياة الثقافية في مكة المكرمة وشاركت المراكز التعليمية التي كانت موجودة حينئذ في بث الوعي وتنوير الأذهان .

خاتمة:

مما سبق يتضح لنا أنه رغم الركود الذي خيم على الحياة العلمية والثقافية في شبه جزيرة العرب في آخر العهد العثماني، إلا أن مكة المكرمة كانت استثناء من ذلك حيث وجدت بها حركة تعليمية وثقافية نشطة، تمثلت في المسجد الحرام والكتاتيب والمدارس الأهلية فضلا عن المطابع والصحف ومجالس العلماء، والتي كانت تمثل رافدا من روافد الحركة العلمية والثقافية بها في تلك الفترة، مما ترتب عليه مشاركتها جميعا في بث الوعي وتنوير الأذهان في مكة المكرمة آنذاك، وهذا يخالف ما كانت عليه بلدان شبه جزيرة العرب التي كانت تعيش في ركود علمي وثقافي في تلك الآونة.

هوامش البحث

(1) Hurgronje, S. C.: Mekka In The Latter Part Of The 19th Century, London, 1931, p.222 .

(٢) حمد ابراهيم السلوم: التعليم العام في المملكة العربية السعودية، ط٢، مطابع إنترناشيونال كراميكس، واشنطن، ١٤٢١ه/ ١٩٩١م، ص٩.

(٣) حمد ابراهيم السلوم: نفس المرجع، ص ١٠

(4) Hurgronje, S.C: Op. Cit., pp.192-200 .

(٥) صالح شطا: ندوة المنهل، تجديد لمجالس العلماء والأدباء في مطلع هذا القرن، مجلة المنهل، عدد ٦، مايو، ١٩٤٨م.

(٦) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ط، مطابع دار قريش، مكة، ١٣٨٢، ص٢٠.

(٧) عمر عبدالجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، دار ممفيس للطباعة، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ص١٩.

(٨) حجاز ولايتي سالنامه سمي: مكة، من ١٣٠١-١٣٠٩ه (١٨٨٣-١٨٩١م)، ص ص ٧١-٧٦.

(٩) ابراهيم رفعت باشا: مرأة الحرمين، ج ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٠م، ص٢٩٠

(10) Hurgronje, S. C.: 0p. Cit., p.183. (11) Hureronje, S. C. : Ibid, pp. 173-174 .

(١٢) جريدة شمس الحقيقة: عدد ٧، في ٧/٣/١٣٢٧ هـ (١٩٠٩/٣/٢٩م).

(13) Hurgronje, S. C.: Op, Cit., pp.173-174 .

(١٤) محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية، ط٢، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٢٩ه (١٩١١م)، ص، ٦.

(١٥) محمد عبدالرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ط٣، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥ه، ١٩٨٥م، ص١٤.

(١٦) محمد عبدالرحمن الشامخ: نفس المرجع والصفحة.

(١٧) محمد عبدالرحمن الشاسخ: نفس المرجع، ص١٩، ١٧.

(١٨) محمد عبدالرحمن الشامخ: نفس المرجع، ص١٧، ١٨.

(١٩) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤م، ص ص ٢٤٥-٢٥٢.

(٢٠) محمد عبدالرحمن الشامخ: المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢١) عمر عبدالجبار: المرجع السابق، ص١٩.

(٢٢) عمر عبدالجبار نفس المرجع والصفحة.

(٢٣) محمد عبدالرحمن الشامخ: المرجع السابق، ص١٢٣.

(٢٤) ساطع الحصري: حولية الثقافة العربية، السنة الأولى، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ص ٣-٧، جريدة 'حجاز"، عدد ١٤ في ١٣٢٧/١/٢٠هـ ١٩٠٩/٢/٥م).

(٢٥) محمد عبدالرحمن الشامخ: الصحافة في الحجاز ١٩٠٨-١٩٩١م، دار الأمانة، بيروت، ١٩٧١، ص ص ٢٧-٢٠.

(٢٦) محمد صادق: دليل الحج الوارد إلى مكة من كل فج، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣١٣ه ١٨٩٩م، ص٥٨.

(٢٧) أحمد السباعي: المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٢٨) حجاز ولايتي سالنامة سي: المرجع السابق، ص ١٤. (٢٩) أحمد السباعي: المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٣٠) صالح خزامى: تقرير عن ماضي التعليم بمكة المكرمة في ١٣٨٧/٨/٧هـ، محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة التربية والتعليم بالرياض. (٣١) جريدة حجاز: العدد ٤٨ في ١٣٢٨/٢/١٠هـ (١٩١٠/٢/٢٦م).

(٣٢) جريدة حجاز: العدد ٣ في ٢٩/١٠/١٣٢١ ه (٢٩/١١/١٩٠٨ م).

(٣٣) جريدة حجاز: العدد ٦٠ في ٢٨/٧/١٣٢٨ ه (٥/٨/١٩١٠ م).

(٣٤) جريدة حجاز: العيد ٥٣ في ٢٨/٣/١٣٢٨ (٩/٦/١٩١٠ م).

(٣٥) جريدة حجاز: د ٩٠ في ٢٨/٧/١٣٢٨ (٩/٨/١٩١٠ م).

(36) Hurgronje, S. C: 0p, Cit., p.202 .

(٣٧) أحمد ابراهيم الغزاوي: أيام الإصرافة والإقلابة، جريدة قريش، عدد ٢٠٠، في ٢٧/١١/١٩٩٢ م.

(٣٨) أحمد إبراهيم الغزاوي: نفس المرجع

(39) Hurgronje, S. C.: 0p. Cit., pp. 115-116 .

(٤٠) الريال المجيدي: عملة عثمانية كانت تضرب في القسطنطينية سنة ١٣٩٤هـ باسم السلطان عبدالمجيد الثاني العثماني الذي تولى الخلافة فيما بين عامي ١٢٥٥-١٢٧٧ (١٨٣٩-١٨٩١م) عبد العزيز المهنا، الموسوعة المصرفية السعودية، ط١، الرياض، ١٤١٥ه/ ١٩٩٠م، ص٢٩.

(٤١) عبدالله خوجه: تقرير عن ماضي التعليم في مكة المكرمة، مخطوط، مؤرخ في ٣/٤/١٣٨٨ ه (محفوظ بمكتبة الوثائق التربوية بوزارة التربية والتعليم بالرياض).

(٤٢) منيع عبدالعزيز المنيع: التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية، ط١، الرياض، ١٤١٤ه/ ١٩٩٣م، ص ١٢٢. (٤٣) عبدالعزيز عبدالله حسن آل الشيخ: لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، دت، ص٥٥-٥٦.

(٤٤) عبدالرحمن صالح عبدالله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق، جدة، ١٤٠٣ه، ص ٩٠، ٩١.

(٤٥) عبدالرحمن صالح عبدالله: نفس المرجع، ص٠٩٣

(٤٦) منيع عبدالعزيز المنيع: المرجع السابق، ص١٢٥.

(٤٧) منيع عبدالعزيز المنيع: نفس المرجع والصفحة.

(٤٨) محمد عبدالرحمن الشامخ: تاريخ التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ص١٢. (٤٩) عبدالرحمن صالح عبدالله: المرجع السابق، ص٤٩

(٥٠) المدرسة الصولتية: تقرير إدارة المدرسية الصولتية المؤرخ عام ١٣٨٢ه (محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة التربية والتعليم بالرياض).

(٥١) المدرسة الصولتية: صدى العلم من الحجاز، المطبعة الماجدية، مكة، ١٣٣١ه (١٩١٣م).

(٥٢) أسس هاتين المدرستين محمد على زينل (١٣٠٠-١٣٨٩) الذي ولد في جدة بعد أن هاجرت أسرته من اقليم بستك بايران واستقرت بجدة. محمد أحمد الشاطري: محمد علي زينل - رائد نهضة وزعيم إصلاح ومؤسس دار الفلاح، ط١، جدة، دار الشروق، ١٩٧٧م، ص٣٩.

(٥٣) محمد أحمد الشاطري: نفس المرجع والصفحة

(٥٤) جريدة الفلاح: مقالة عن النهضة العلمية في مكة، عدد ٣٤ في ٢١/٠/١٣٣٩ ه (٣٠/١/١٩٢١ م).

(٥٥) عمر عبدالجبار: المرجع السابق، ص١٠٨.

(٥٦) محمد عبدالرحمن الشامخ التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ص٥٤.

(٥٧) محمد أحمد الشاطري: المرجع السابق، ص٨٩ (٥٨) محمود عارف: محمد علي زينل.. رجل من الشرق، مجلة المنهل، المئة ٥٠، المجلد ٤٦، رجب ١٤٠٤هـ، ص ٤٧. (٥٩) محمد عبدالرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ص٥٠، ٥١. (٦٠) محمد عبدالرحمن الشامخ: نفس المرجع، ص ٠١.

(٦١) محمد لبيب البتنوني: المرجع السابق، ص٥٩.

(٦٢) محمد عبدالرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر المعهد العثماني، ص٥٢.

(٦٣) أحمد ابراهيم الغزاوي: المرجع السابق.

(٦٤) حجاز ولايتي سالنامه سي: المرجع السابق، ص١٨٤.

(٦٥) محمد لبيب البتوني: المرجع السابق، ص٥٨، ٠٩.

(٦٦) صفي الرحمن المباركفوري: تاريخ مكة المكرمة، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ ص ١٥٠.

(٦٧) جريدة حجاز: عدد ١٠٩ في ٢٣/١/١٣٣١هـ (٢/١/١٩١٣ م).

(٦٨) منيع عبدالعزيز المنيع: المرجع السابق، ص١٢٥.

(69) Hurgronge, S. C.: 0p. Cit., p.165 .

(٧٠) محمد عبدالرحمن الشامخ: الصحافة في الحجاز ١٩٠٨-١٩٩١م، ص٢٠.

(٧١) محمد عبدالرحمن الشامخ: النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م، ص١٠

(٧٢) محمد عبدالرحمن الشامخ: نفس المرجع، ص٤٨

(٧٣) محمد عبدالرحمن الشامخ: نفس المرجع، ص٤٧.

(٧٤) محمد عبدالرحمن الشامخ: الصحافة في الحجاز ١٩٠٨-١٩٩١م، ص٢٠.

(٧٥) محمد حسين نصيف: بعض ذكرياتي من قبل ربع قرن، مجلة المنهل، عد٨، شعبان ١٣٩٩هـ
(مايو ١٩٠٠م)

(٧٦) مجلة المنهل: ندوة المنهل تجديد المجالس العلماء والأدباء في مطلع هذا القرن عدد ١، جمادى الثانية ١٣٩٧هـ (١٩٦٨م) ص١١٠.

(٧٧) مجلة المنهل: نفس المرجع والصفحة

المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات

١- عبدالله خوجه: ماضي التعليم في مكة، مخطوط مؤرخ في الوثائق التربوية بوزارة التربية والتعليم بالرياض.

ثانيا: التقارير

١- المدرسة الصولتية: تقرير إدارة المدرسة الصولتية، مؤرخ عام ١٣٨٢ه، محفوظ بمكتبة

الوثائق التربوية بوزارة التربية والتعليم بالرياض. ٢- صالح خزامى: تقرير عن ماضي التعليم بمكة المكرمة، مؤرخ في ٧/٨/١٣٨٧ ه، محفوظ في مكتبة الوثائق التربوية بوزارة التربية والتعليم بالرياض.

ثالثا: مراجع باللغة العربية

١- إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٠م.

٢- أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ط٢، مطابع دار قريش، مكة، ١٣٨٢ه.

٣- أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف، بيروت، ١٩٠٣م.

٤ - المدرسة الصولتية: صدى العلم من الحجاز، المطبعة الماجدية، مكة، ١٣٣١هـ-١٩١٣م.

٥- حمد إبراهيم السلوم: التعليم العام في المملكة العربية السعودية، ط٢، مطابع إنترناشيونال كراميكس، واشنطن، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٦- صفي الرحمن المباركفوري: تاريخ مكة، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٧- عبدالعزيز المهنا، الموسوعة المصرفية السعودية، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٠م.

٨- عبدالعزيز عبدالله حسن آل الشيخ: لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، د.ت.

٩- عبدالرحمن صالح عبدالله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق، جدة ١٩٠٣هـ

١٠- عمر عبدالجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، دار ممفيس للطباعة، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

١١- محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية، ط١، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٢٩هـ

١٢- محمد عبدالرحمن الشامخ: الصحافة في الحجاز، ١٩٠٨-١٩٩١م، دار الأمانة، بيروت، ١٩٧١م.

١٣- محمد عبدالرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ط٣، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٠م.

١٤- محمد عبدالرحمن الشامخ: النشر الأدبي في المملكة العربية السعودية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٠٨-١٩٨٨م.

١٥- محمد صادق: دليل الحج الوارد إلى مكة من كل فج، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٩م.

١٦- محمد أحمد الشاطري: محمد علي زينل - رائد نهضة وزعيم إصلاح ومؤسس دار الفلاح، ط١، جدة، دار الشروق، ١٩٧٧م.

١٧- منيع عبدالعزيز المنيع: التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

رابعا: مراجع باللغة الأجنبية

1. Hurgronje, S. C.: Mekka in the Latter Part of the 19th Century, London ،1931.

خامسا: المقالات

١- أحمد إبراهيم الغزاوي: أيام الإصرافة والإهلابة.. مقال منشور بجريدة قريش، عدد ٢٠٠، في ٢٧/١١/١٩٩٣ م.

٢- ساطع الحصري: التعليم الحكومي في مكة المكرمة في العهد العثماني، مقال منشور في حولية الثقافة العربية، السنة الأولى، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٩.

٣- صالح شطا: ندوة المنهل تجديد المجالس العلماء والأدباء في مطلع هذا القرن، مجلة المنهل، عدد ٦ في مايو ١٩٤٨م

٤- محمد حسين نصيف: بعض ذكرياتي من قبل ربع قرن، مقال منشور في مجلة المنهل، عدد ٨، شعبان ١٣٩٩ه/ مايو ١٩٠٠م.

٥- محمود عارف: محمد علي زينل - رجل من الشرق، مقال منشور في مجلة المنهل، السنة ٥٠، المجلد ٤٦، رجب ١٤٠٤ه/ ١٩٨٦م.

سادسا: الدوريات

١- جريدة الفلاح، علد ٢٩ في ٢١/٠/١٣٨٩ ه (٣٠/١/١٩٢١ م).

٢- جريدة حجاز، - عدد ٣ في ٢٩/١٠/١٣٢٦ ه (٢٦/١١/١٩٠٨ م).

- عدد ١٤ في ٢٠/١/١٣٢٧ ه (٥/٢/١٩٠٩ م).
- عدد ٤٨ في ١٠/٢/١٣٢٨ ه (٢٦/٢/١٩١٠ م).
- عدد ٠٣ في ٢٨/٣/١٣٢٨ ه (٩/٦/١٩١٠ م).
- عدد ٦٠ في ٢٨/٧/١٣٢٨ ه (٥/٨/١٩١٠ م).
- عدد ١٠٩ في ٢٣/١/١٣٣١ ه (٢/١/١٩١٣ م).

٣- جريدة شمس الحقيقة: عدد ٧ في ٧/٣/١٣٢٧ هـ (٢٩/٣/١٩٠٩ م).

سابعا: تقاويم وإحصاءات

1 - حجاز ولايتي سالنامة سي: مكة، الفترة من ١٣٠١-١٣٠٩ه (١٨٨٣-١٨٩١م).

The Scientific and Cultural Movement in Mecca in the Late Ottoman Period

(1300-1344 AH/1882-1916 AD)

By

Dr. Wadha Sahn Refa'y Menawer Al-Hudaiban

PhD in Modern and Contemporary History Ministry of Education in Kuwait

Abstract:

In spite of the instability and division that prevailed in large parts of the Arabian Peninsula and that made scientific and cultural life in the region stagnant, Mecca was an exceptional case because of the Great Mosque of Mecca which was always bustling with the activity of scholars and students, private schools, some Rashidi schools that were established by the Ottoman government, printing houses, newspapers, private libraries, and scholars' seminars that played a major role in revitalising the scientific and cultural life in Mecca during the late Ottoman Period.

Keywords:

The Great Mosque of Mecca, Rashidi schools, private schools, libraries, the press.